

المطران روبرت رباط

بنعمة الله

راعي أبرشية الملاك ميخائيل للروم الملكيين الكاثوليك في أستراليا، نيوزيلاندا وجزر أوقيانيا

إلى الإكليروس، الرهبان والراهبات، ومؤمني أبرشيتنا المباركة

رسالة رعوية بمناسبة عيد الميلاد الإلهي، 2021

وعيد الظهور الإلهي، 2022

إخواني وإخوانتي الأحباء في المسيح،

"يكاد سر المسيح الإلهي أن لا يُصدّق لأنه فائق الجمال" (القديس كيرلس بطريرك الاسكندرية، القرن الخامس).

في سنة 55 بعد الميلاد، كان القديس بولس، رسول الأمم، في مدينة "أفسس"، (تركيا الحالية). ومن هناك كتب عدّة رسائل إلى كنيسة "كورنثوس" في اليونان، وقد وصلتنا منها رسالتين أصبحتا جزءاً من كتب العهد الجديد. يذكر الرسول في الرسالة الأولى إلى جماعة كورنثوس أن "ثلاثة أشياء تدوم وتبقى: الإيمان، والرجاء والمحبة، وأعظمهنّ المحبة" (1 كور 13:13). والمحبة لا تزول لأنها من طبيعة الله نفسه، كما كتب يوحنا الإنجيلي في الرسالة الأولى "الله محبة". (1 يوح 4:8).

إن حياتنا في المسيح نختبرها كعلاقة متبادلة بين الإيمان والمحبة، هنا والآن. فالإثنان، في الحقيقة، يشكلان جواباً مترابطاً لم يطلبه منّا الإنجيل المقدس. إذ عندما يأتي الراعي-الملك، بمجده مع أجواق الملائكة فهو لن يسألنا عما نؤمن به، بل عما عملناه في حياتنا من أعمال محبة تعبر عن هذا الإيمان (مت 25: 31-46).

نجد في الرسالة إلى العبرانيين لائحة بأسماء أشخاص من العهد القديم تغلبوا بواسطة "الإيمان" على الكثير من الصعوبات التي واجهتهم في حياتهم، وحقّقوا أشياء عظيمة (فصل 11). وهذا "الإيمان" المذكور في الرسالة لا يعتبر فقط قبول عقليّ لمبدأ ما أو لحقيقة تتجاوز الطبيعة، إنما هو ثقة كاملة في العناية الإلهية التي لا تتضب. ثقة أكيدة مكّنت وحركت هؤلاء الأشخاص عبر التاريخ ليعيشوا المحبة بكافة وجوهها.

خلال السنتين الماضيتين، واجهت إيماننا الذي عرّفه الرسول بولس بقوله بأنه "الوثوق بما نرجوه وتصديق ما لا نراه" (عبر 11:1) تحديات عظيمة من جراء جائحة كورونا. فبينما نكمّل رحلتنا في زمن الشك هذا، ثمّة شيء واحد أكيد وهو أن رحلتنا يجب أن نسيرها بالإيمان.

أيّها الأخوة، إن الإحتفال بعيد الميلاد الإلهي يزودنا بأمثلة عديدة عن الثقة بالله والإيمان به:

• المثال الأول للإيمان، هو بالتأكيد سيدتنا والدة الإله الفاتحة القداسة مريم العذراء. لقد فسّر البعض سؤالها إلى الملاك "كيف يكون لي هذا وأنا عذراء لم أعرف رجلاً؟" (Πῶς ἔσται τοῦτο, ἐπεὶ ἄνδρα οὐ γινώσκω) (لو 1:34)، أنه دلالة على عدم اليقين أو الشكّ أو عدم الثقة بما قاله ملاك البشارة. لكن جوابها للملاك بعد ذلك، يُظهر أن مخاوفها قد تبدّدت وقبلت الرسالة المكلفة بها: "ها أنذا أمة الرب، فليكن لي حسب قولك" (لو 1:38). فلو كان كلامها صادر عن عدم إيمان أو عدم ثقة، لكانت ردّة فعل الملاك شبيهة بتلك التي نراها في بشارة زكريا والد يوحنا السابق، الذي رُبط لسانه (لو 18:1-20) لا بل أن إيمانها الكامل وثقتها الراسخة بالربّ دفعها لتسرّع إلى قرية في تلال اليهودية لكي تكون إلى جانب نسيبتها "أليصابات" (لو 1:39-45).

• أمّا المثال الثاني فهو القديس يوسف خطيب والدة الإله وحارس الفادي. لا شكّ أنه وقع في اضطراب من جراء الأحداث التي جرت من حوله (مت 1: 20-23). لكن ذلك لم يمنعه من الاهتمام بالوالدة الاله وبطفلها الصغير: "فأخذ الطفل وأمه وهرب إلى مصر... وأقام فيها إلى أن مات هيرودس" (مت 2: 13-15). ما قام به يوسف البارّ يعبر إذًا عن فعل إيمان بالله الساهر على البشر والمعتمتي بالكلّ.

• وثمة في العهد الجديد أيضًا حدثي "إيمان" يخصان مجموعتين مختلفتين من الأشخاص. ففي إنجيل لوقا وأثناء ميلاد يسوع أعلن الملاك البشري للرعاة الذين "يسهرون على خرافهم في الليل" فقال لهم: "لا تخافوا! هاءنذا أبشركم بخبر عظيم يفرح له جميع الشعب: ولد لكم اليوم مخلص" (لو 2: 8-11). يتحدث بعض المفسرين عن المركز الاجتماعي المتدني للرعاة في القرن الأول في إسرائيل؛ لكن ما يهمننا هو ردة فعل هؤلاء واستجابتهم التي هي حقاً فعل "إيمان". فما أن انصرفت عنهم أجواق الملائكة المرتمين من السماء، حتى ترك الرعاة قطعانهم وذهبوا إلى بيت لحم ليروا هذا الحدث الذي أخبرهم به الرب" (لو 2: 8-20). فكان جوابهم قبولاً ممتلئاً بالإيمان لأمر يفوق الطبيعة ويتخطى المعطيات البشرية.

• نفس الحدث الإيماني نجده في قصة المجوس أتباع زردست، الرجال الحكماء الذين أتوا إلى بيت لحم من بلاد فارس يقودهم نجم. هؤلاء الأشخاص هم بلا شك من بين الأكثر غموضاً في الكتاب المقدس، ومن المحتمل أنهم امضوا ثلاثة أو أربعة شهور على الأقل في الطريق ساعين وراء الحقيقة التي لمحوها شيئاً منها. يقول متى: "لما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية، جاء إلى اورشليم مجوس من المشرق، وقالوا: أين هو المولود ملك اليهود؟ فقد رأينا نجمة في المشرق، فجننا لنسجد له" (مت 2: 1-12). مهما كان فهمهم لهذا الحدث فقد أتوا إلى بيت لحم بدافع الإيمان. ففي هذين الحدين إذاً، كان جواب الرعاة والمجوس وفعلهم نابع من إيمانهم.

أخواتي وأخوتي الأعزاء،

نحن نقترّب بالروح من مغارة في بيت لحم حيث ولد الرب يسوع، فدعونا نقترّب بإيمان. نحن نعيش في مجتمع يبتعد شيئاً فشيئاً عن السر الذي نحتفل به في هذا العيد المبارك، وهو سر الإله الابن، الكلمة الأزلي المتأنس، حكمة الله وقوته، الذي "أخلى ذاته، وأخذ صورة عبد. صائراً شبيهاً بالبشر وظهر بمظهر الإنسان" (فيل 2: 7-8).

بالنسبة لنا، أهل بيت الإيمان، الميلاد الإلهي، الذي نحتفل به ولو في أوقات مختلفة، هو حدث يتخطى حدود التاريخ، يتخطى حدود المكان والزمان. في يوم العيد نستقبل فيما بيننا المخلص، المولود الجديد، كما فعل الرعاة، ونسجد له كما سجد المجوس. في هذا اليوم، نعيد بعضنا بعضاً ليس بعبارة "المسيح قد ولد"، وكأن الحدث قد جرى في الماضي، بل بعبارة "المسيح ولد" لأنه ميلاده آني، يطالنا هنا والآن في حياتنا. وكجواب على هذه المعايمة نقول مع كل الخليقة: "قمجده".

إذاً فيما نحن نفكر بالسنة الماضية ونستعد لإستقبال السنة الطالعة، دعونا نضع كل شيء بين يد الله. ولنصلي مع القديس أفرام السرياني هذه الصلاة قائلين: "تطلب إليك أيها السيد أن تجعلنا نعرف عمق رحمتك. أيها المخلص الأبدي، نجنا من العدو الشرير، اجعلنا حازين في حياة القداسة، احفظنا من الوقوع في أخطار الموت، وقدنا إلى طريق خدمتك القويم الذي هو السلام، يا مخلص العالم، أنت الإله الحي الذي له الملك مع الله الأب والروح القدس إلى أبد الأبد. آمين".

صلواتي الحارة لكم جميعاً في عيد الميلاد، أن يتحول هذا الزمن زمناً مقدساً فتتألموا فيه البركات والنعم السماوية.

وُلد المسيح فَمَجِّدُوهُ! Δοξάσατε! Christ is born! Glorify Him! Χριστός γεννάται!

✠ المطران روبري رباط

صدّر عن كرسينا في غرين إيكر، نيو ساوس وليز

24 كانون الأول/ديسمبر 2021